## الفصل السادس

# دولة المماليك والخطر المغولى

**قيام دولة المماليك:**

بعد مقتل السلطان توران شاه أخر سلاطين الأيوبيين على يد أمراء المماليك، أجمع أمراء المماليك على تنصيب شجر الدر ملكة على البلاد وأخذوا لها البيعة وقاموا بالدعاء لها على المنابر.

**وقبل أن نتناول تاريخ حكام دولة المماليك في مصر، يجب علينا الإشارة إلى عدة نقاط مهمة، وهي:**

- **أولًا:** من الواجب على كل مصري أن يدرس تاريخ دولة المماليك، اذ أصبحت مصر في عهدهم قوى عظمى في العالم إن لم تكن هي الأقوى دون منازع لعقود، كما أن دولة المماليك استطاعت أن تحمي مصر والعالم الإسلامي بأسره من خطرين كبيرين وهما: التصدي للخطر المغولي الذي هدد العالم كله، وتصفية

الوجود الصليبي في الشرق تمامًا باسترداد كل الإمارات التي استعمرها الأوروبيون في الشرق.

- **ثانيًا:** يمكن تقسيم تاريخ حكام المماليك في مصر إلى أسرتين رئيستين، وهما: أسرة المماليك البحرية ثم أسرة المماليك البرجية أو الشركسية.
- **ثالثًا:** من هم المماليك ؟ نجد أن أفضل تعريف لمصطلح المماليك أنهم عناصر تولت حكم مصر بعد سقوط الدولة الأيوبية، وهم جماعة من الرقيق جلبوا من بلدان مختلفة مثل القرم والقوقاز والقفجاق وأسيا الصغرى وفارس وتركستان وبلاد ماوراء النهر، وكلها أقاليم أسيوية، وهم خليط من الأتراك والشركس والروم والروس والأكراد وبعض البلدان الأوروبية.

وقد فرض المماليك على أنفسهم عزلة ورفضوا الاختلاط أو التزاوج من سكان مصر والشام مما أوجد فجوة بين هؤلاء الحكام ومحكوميهم وترك أثرًا واضحًا في المجتمع المصري آنذاك.

كان يتم شراء المماليك من تجار النخاسة والذين يجلبونهم في الغالب من أسرى الحروب التي دارت بين الأتراك والمغول على أثر خروجهم من منطقة الاستبس في آسيا، بالإضافة

إلى أن بعض الناس في بلاد الترك باعوا أولادهم في أسواق النخاسة على أمل أن يصبحوا في يوم سلاطين، خاصة بعد أن قامت دولة المماليك وأصبح المماليك سلاطينا، تجدر الإشارة إلى أن تاجر المماليك كان يلقب بالخواجا أو تاجر الخاص.[1]

وكان المملوك يُنسب إلى أستاذه الذي اشتراه مثل بيبرس البندقداري نسبة إلى أستاذه ومربيه علاء الدين البندقداري، أو يُنسب إلى الثمن الذي اشتري به مثل قلاوون الألفي، أو يُنسب إلى التاجر الذي جلبه مثل المؤيد شيخ المحمودي نِسبة إلى الخواجا محمود شاه الرومي الذي جلبه.

بعد أن يتم شراء المماليك وهم صغار، كانوا يلحقوا بالطباق أي المعسكر، وهو المكان الذي يتعلم فيه القراءة والكتابة وتعاليم الإسلام ويحفظ القرآن ثم يبدأ التدريب العسكري والفروسية.

- **رابعًا:** ما الفرق بين المملوك والعبد ؟ كلاهما من الرقيق إلَّا أن المملوك كان أبيض اللون ومهمته الأمور العسكرية والحرب، بينما العبد فكان أسود اللون ويعمل في الزراعة أو الخدمة أو غيرها.

---

1- تاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر والشام – ص15 د.ليلى عبد الجواد.

على أي حال قامت دولة يحكمها المماليك في مصر واستطاعت هذه الدولة أن تجعل عصرها واحدًا من أهم عصور مصر ان لم يكن هو الأهم، لما كان له من أثر باق في الشئون الداخلية للبلاد، وما اتسم به من أحداث لعبت فيها مصر دورًا يحسب لها كقلب الأمة العربية والإسلامية وكمنارة مضيئة، وملتقى أنظار وأطماع الفاتحين والسادة.

**عصر الأسرة الأولى (المماليك البحرية - التركمان):**

1. **شجر الدر:** هي شجر الدر عصمة الدين أم خليل الصالحية، زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب، كان لها دورًا عظيمًا في التصدي للحملة الصليبية التي جاءت إلى مصر في عصر زوجها الملك الصالح خاصة بعد وفاته.

أجمع أمراء المماليك على مبايعتها ملكة على مصر بعد مقتل توران شاه، وتمت بيعتها 648هـ – 1250م، واتفق المماليك على أن يكون الأمير عز الدين أيبك التركماني أتابك العساكر.

خُطب باسمها على المنابر، وضُربت العملة باسمها، وأصبحت بذلك أول امراءة تتولى الحكم في بلد إسلامي على مر التاريخ، كما قال السيوطي "ولم يل مصر في الإسلام امراءة قبلها ".

يبدو أن الشعب المصري حينها لم يقبل بفكرة أن تتولى امرأة الحكم، واعتبر الفقهاء ورجال الدين توليها العرش خروجًا على الدين، كذلك لم يوافق الخليفة العباسي المستعصم على تولي شجر الدر عرش السلطنة في مصر.

بدأت شجر الدر تشعر بحرج موقفها وبضعفها كامرأة، لذا جمعت الأمراء والقضاة وخلعت نفسها من السلطنة برضاها، وأشار عليها القاضي تاج الدين بن بنت الأعز أن تتزوج بالأمير أيبك التركماني مقدم العساكر وأتابكها ولازال يتلطف بها حتى أذعنت بذلك، ولم يقم القاضي تاج الدين من المجلس حتى عقد العقد بينهما، ثم بايع القاضي أيبك بالسلطنة بعد خلع شجر الدر، وبعد ان اتفق الأمراء على ذلك.[1]

2. **عز الدين أيبك:** هو السلطان المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي النجمي، وهو أول ملوك الترك بمصر، بويع بالسلطنة بعد خلع شجر الدر سنة 648هـ – 1250م، وكانت ولايته في عهد الخليفة العباسي المستعصم بالله.

واجه أيبك بعد اعتلائه عرش السلطنة العديد من الصعاب، منها

---

1– د.ليلى عبد الجواد – المرجع السابق – ص 180

ثورات الأيوبيين ضده، إلَّا أن أخطر ما واجه أيبك كان غضب المماليك البحرية، لأن أيبك ليس منهم، وكان على رأس المماليك البحرية فارس الدين أقطاي الجمدار مقدم المماليك البحرية، ومعه قلاوون وبيبرس، إذا كان هؤلاء أخطر المماليك البحرية على أيبك.

استطاع أيبك أن يتخلص من أقطاي بقتله، ففر معظم المماليك البحرية إلى الشام خوفًا من أن ينالوا مصير أقطاي.

ويبدو أن أيبك استبد بالحكم ولم يمنح شجر الدر أي صلاحيات، وهي التي كانت مجبرة على الزواج منه، فقررت أن تتخلص منه، واستطاعت أن تعد مجموعة من الخدم الذين قتلوه وهو بالحمام في القلعة وشاركت بنفسها في تنفيذ هذه المؤامرة، فأخذت تضربه بالقبقاب وهو يستغيث ويتضرع إليها حتى مات، ويبدو أنها نالت نفس المصير من القتل بنفس الطريقة على يد زوجة أيبك الأولى وأعوانها.

3. **المنصور علي بن أيبك:** هو السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز أيبك، بويع بالسلطنة بعد موت أبيه 655هـ–1257م، وكانت ولايته في عهد الخليفة المستعصم **بالله** العباسي، والذي قتل في بغداد على يد هولاكو ملك المغول.

ومن الجلي أن المماليك لم يؤمنوا بمبدأ الوراثة في الحكم، بل كان من يبدي جدارته واستطاعته للسلطنة أخذها، وكان المنصور علي صبيًا في الخامسة عشر من عمره، مما جعله مطمعًا للإنتهازيين، فتم تعيين أحد أمراء المماليك وهو سيف الدين قطز ليكون وصيًا عليه ونائبًا للسلطنة.

وصلت الأخبار إلى مصر بان المغول استولوا على بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وقتلوا الخليفة العباسي المستعصم، وحرقوا المساجد والجوامع وسفكوا دماء الآلاف من الناس، ثم اتجهوا إلى الشام، فشعر أهل مصر بالضيق وأدركوا أن الخطر قريب منهم.

في ظل هذه الظروف العصيبة التي حلت بالعالم الإسلامي كله، قرر سيف الدين قطز أن يعزل المنصور علي عن الحكم لصغر سنه واستحالة أن يكون على رأس السلطنة أثناء مواجهة المغول، وجمع قطز الأمراء وكبار القادة والعلماء وأصحاب الرأي في مصر، وقال لهم:

" إني ماقصدت من السيطرة على الحكم إلَّا أن نجتمع على قتال التتار، وهذا لن يتأتى الا من خلال ملك قوي، فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم، أقيموا في السلطة من شئتم"

وكان رأي معظم المماليك من رأي قطز وقالوا له ليس لها غيرك.

4. **سيف الدين قطز:** هو السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز المعزي، وهو من مماليك المعز أيبك التركماني، بويع بعد خلع الملك المنصور علي 657هـ – 1259م، ولم يكن في عهده خليفة للمسلمين بعد قتل الخليفة المستعصم وسقوط بغداد في يد المغول.

لم يلبث المغول أن زحفوا من العراق إلى الشام واستولوا عليها، والمغول أو التتار هم قبائل موطنهم الأصلي منغوليا بوسط أسيا، وقد اتصفوا بالقسوة والخشونة، كما لم يعرفوا حياة الاستقرار.

من وصفهم قوة البدن وهم ذو وجوه عريضة سمراء اللون، قصيرو القامة والأطراف، قويو العضلات، يأكلون جميع أنواع اللحوم حتى لحوم الأدميين.

كانت ديانتهم وثنية تعرف بالشامانية، وقد استطاع جنكيز خان أن يوحِّد كل قبائل المغول وعرف بالحاكم الأعظم، ولما أدرك قوة قبائله عزم على الزحف نحو الشرق الإسلامي ثم إلى العالم كله.

مات جنكيز خان وتولى أمر المغول أوغاداي، إلَّا أن هولاكو حفيد جنكيز خان كان هو الأشهر بين أباطرة المغول، فهو من استكمل مسيرة جده في الزحف وتوسيع إمبراطورية المغول.

بعد استيلاء المغول على العراق والشام، أصبح اجتياحهم لمصر مجرد أمر وقت لا أكثر ولا أقل، والأمور في يد قطز تسر وتسعد العدو ولا تطمئن المسلمين، فلا أمة موحدة ولا جيوش مستعدة ولا سلاح ولا عدة.

**وصلت رسل هولاكو إلى مصر وقابل قطز هذا الأمر بقتلهم وعلق رؤسهم على باب زويلة وأعلن الجهاد قائلًا:**

" من اختار الجهاد فليصحبني ومن لم يختره فليرجع إلى بيته "

بدأ قطز الاستعداد لمواجهة المغول، فوحد جبهة المسلمين وحث الناس على الجهاد بالنفس والمال، وطلب من الشيخ العز بن عبد السلام أن يفتيه بجواز فرض الضرائب على الناس لجمع الأموال اللازمة لتجهيز الجيش للمعركة فكان رد العز:

" إذا طرق العدو البلاد وجب قتاله وجاز أن يؤخذ من الرعية ما يستعان به على جهاده بشرط ألَّا يبقى في بيت المال شئ، وأن تبيعوا ممتلكاتكم ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه فتتساووا مع العامة ".

بدأ قطز بنفسه، وتبعه في ذلك أمراء المماليك، وقرر قطز الخروج لملاقاة المغول عند عين جالوت بفلسطين 658هـ – 1260م، فقال

ابن كثير " بادرهم قبل أن يبادروه وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه ".

قسَّم قطز جيشه إلى قسمين، قسم ضم مقدمة الجيش وطليعته وعهد بقيادته إلى بيبرس البندقداري، والقسم الثاني باقي الجيش، وكان بقيادة سيف الدين قطز نفسه، وفي المقابل كانت جيوش المغول بقيادة كتبغا.

عمل قطز على إثارة روح الحماسة في جنوده وحثهم على قتال المغول ونصرة الإسلام والمسلمين، ووضع قطز خطة عسكرية محكمة تتلخص في أن تقوم طليعة الجيش بقيادة بيبرس بمناوءة جيش كتبغا عند اقترابه، بينما يختبئ القسم الأكبر من الجيش بين الأحراش والغابات المحيطة بعين جالوت التي تقع بين نابلس وبيسان من أعمال فلسطين.

ظن كتبغا أن طليعة الجيش بقيادة بيبرس تمثل الجيش كله فحمل حملة قوية عليه، فتراجع بيبرس وفق الخطة تجاه الكمين والجيش المغولي في أثره، وفجأة خرج الجيش من ثلاث جهات وحاصر المغول.

اضطربت صفوف المسلمين أمام كثرة المغول، لكن قطز ثبت

في مكانه، وألقى بخوذته على الأرض، وصرخ بأعلى صوته "وإسلاماه، يالله انصر عبدك قطز"،

وحمل بنفسه على المغول مما رفع الروح المعنوية لجيشه واستطاعوا هزيمة العدو وقتل كتبغا نفسه.

بهذا الانتصار العظيم يمكن التأكيد على أن دولة المماليك استطاعت حماية مصر والعالم الإسلامي من خطر المغول، واستطاع المماليك تدعيم ملكهم، ويعترف المؤرِّخون الأوربيون عند تأريخهم لمعركة عين جالوت أنها لم تنقذ العالم الإسلامي فحسب من الخطر المغولي، بل أنقذت العالم المسيحي كذلك، حيث لم يكن في أوروبا حينئذ ملك مسيحي قوي يستطيع مقاومة المغول لو تقدموا في طريقهم الطبيعي إلى أوروبا، وكان حتمًا سيتغير وجه التاريخ إذا حدث ذلك.

أما في مصر فقد عم الفرح، واستعدت القاهرة لاستقبال قطز بطل عين جالوت، وأقيمت الزينات في الطرقات والأسواق والحوانيت، واستعد أهل القاهرة لاستقبال البطل، ولكن شاء القدر ألَّا يصل قطز إلى القاهرة، فقد قتل في طريق عودته على يد بيبرس.

يبدو أن المماليك البحرية ومنهم بيبرس لم ينسوا أن قطز شارك

في قتل كبيرهم أقطاي زمن أيبك، كما أن قطز كان قد وعد بيبرس أن يعطيه ولاية حلب وقد تأخر في تنفيذ ذلك.

على أي حال دُبرت مؤامرة من المماليك البحرية للتخلص من قطز واستطاعوا قتله، وكان من الطبيعي أن تؤول السلطنة بعد مقتل قطز إلى قاتله بيبرس.

5. **السلطان الظاهر بيبرس:** هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي، رابع ملوك الترك في مصر، تسلطن بعد مقتل الملك المظفر قطز 658هـ 1260م.

كان قد تلقب أولًا بالملك القاهر أبي الفتوحات، فنهاه بعض العلماء عن هذا اللقب، وقيل له: " ما تلقب أحد من الملوك بهذا اللقب وأفلح "، فأبطل السلطان هذا اللقب وتلقب بالملك الظاهر.

من أهم أعماله، إعادة الخلافة العباسية بعد سقوطها على يد المغول في بغداد، أعادها في مصر سنة 659هـ – 1261م بالاسم فقط، وبويع بها المستنصر بالله أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بعد أن أثبت نسبه.

ويعتبر الظاهر بيبرس بما قام به من أعمال سياسية وإدارية هو المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في مصر والشام، كما عمل على

ملاحقة الصليبيين والمغول، واسترد إمارة أنطاكية من الصليبيين، وقام ببناء المسجد المعروف باسمه والمدرسة الظاهرية بالقاهرة، واهتم بشئون الزراعة وتحسَّنت أحوال البلاد الاقتصادية في عهده

6. **السلطان بركة خان:** هو السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد المدعو بركة خان بن الملك الظاهر بيبرس البندقداري، تسلطن في حياة والده سنة 662هـ – 1263م، وبقي ليس له من السلطنة إلَّا الاسم إلى أن تُوفي أبوه الملك الظاهر بيبرس سنة 676هـ – 1277م، وظل في الحكم عامين تقريبًا حيث خلع سنة 678هـ –1279م، ومات في نفس العام، وكانت ولايته في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي.

7. **السلطان سلامش:** هو السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن الملك الظاهر بيبرس، بُويع بعد خلع أخيه الملك السعيد سنة 678هـ – 1279م، وهو ابن سبع سنين، وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون، وكانت ولايته في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي.

8. **السلطان قلاوون:** هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون بن عبد الله الألفي التركي الصالحي النجمي، بويع بالسلطنة بعد خلع الملك العادل سلامش سنة

678هـ – 1279م، وكانت ولايته في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي.

9. **السلطان خليل:** هو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون الألفي، تولى بعد أبيه سنة 689هـ– 1290م، وكانت ولايته في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي.

واصل الجهاد ضد الصليبيين حتى استطاع أن يسترد منهم عكا، والتي كان استردادها تمهيدًا لاسترداد العديد من المدن مثل صور وصيدا وغيرها.

10. **السلطان بيدرا:** هو الأمير بدر الدين بيدرا المنصوري، اختاره الملك الأشرف بعد توليه الملك، ليكون نائبا للسلطنة بالديار المصرية، إلَّا أنه قتل الملك الأشرف وأخذ البيعة لنفسه، ولقب بالملك الأوحد سنة 693هـ – 1293م، وما لبث أن تولى السلطنة حتى قتل في صبيحة اليوم التالي على يد الأمير زين الدين كتبغا.

11. **السلطان الناصر محمد (الولاية الأولى):** هو السلطان الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد بن الملك المنصور قلاوون، بويع بالسلطنة بعد قتل أخيه الملك الأشرف خليل

وهو ابن تسع سنين، وكانت هذه الولاية في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي.

12. **السلطان كتبغا:** هو السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي المغلي، وأصله من سبايا التتار، ولما تولى الناصر محمد جعله نائب السلطنة، إلَّا أنه قام بخلع الناصر محمد صغير السن سنة 694هـ – 1294م، وكانت ولايته في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي.

13. **السلطان لاجين:** هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري، بويع بالسلطنة بعد خلع الملك العادل كتبغا 696هـ – 1296م، وكانت ولايته في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي.

14. **السلطان الناصر محمد (الولاية الثانية):** قتل السلطان المنصور لاجين، وأعيد الناصر محمد إلى السلطنة مرة أخرى، وكان منفيا بالكرك سنة 698هـ – 1298م، وفي ولايته هذه توفي الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي، وبويع بالخلافة المستكفي بالله العباسي.

15. **السلطان بيبرس الثاني:** هو السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري، بويع بالسلطنة بعد أن خلع الملك الناصر نفسه وهو بالكرك بكتاب كتبه إلى الديار

المصرية يتضمن عزل نفسه عن السلطنة في 708هـ – 1308م.

16. **السلطان الناصر محمد (الولاية الثالثة):** في سنة 709هـ – 1309م،أعلن بيبرس الثاني أنه خلع نفسه من السلطنة واستولى على خزائن مصر وفر هاربًا بعد أن فوجئ برحيل معظم الأمـراء المماليك إلى الناصر محمد بالكرك ليصحبوه في عودته إلى القاهرة.

شارك الناصر محمد في كثير من الحروب ضد الصليبيين كما اهتم بإقامة نهضة حضارية عمرانية لم تشهدها مصر في عهد أي سلطان من سلاطين دولة المماليك.

**تعاقب على السلطنة عدد من السلاطين المماليك بعد وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون وهم على الترتيب:**

- المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد
- السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد
- السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد
- السلطان الملك الصالح أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد
- السلطان الملك الكامل زين الدين شعبان بن الناصر محمد
- السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي المعروف بأمير حاج بن الناصر محمد

- السلطان الملك الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد (المرة الأولى)
- السلطان الملك الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد
- السلطان الملك الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد (المرة الثانية)
- السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي بن الناصر محمد
- السلطان الملك الأشرف زين الدين أبو المعالي شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون.
- السلطان الملك المنصور علاء الدين علي بن الأشرف شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد.
- السلطان الملك الصالح زين الدين أبو الجود أمير حاج بن الأشرف شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد (المرة الأولى)

وبانتهاء فترة السلطنة الأولى للصالح حاجي انتهى عصر أسرة المماليك البحرية وبدأ حكم أسرة المماليك الشراكسة (البرجية) 784هـ – 1382م.

**عصر الأسرة الثانية (المماليك البرجية - الشراكسة):**

يعتبر السلطان المنصور قلاوون صاحب فكرة تكوين هذه الفرقة من المماليك، حتى يعتمد عليها ضد منافسيه، وتكون في نفس الوقت سندًا لإبنائه من بعده في الاحتفاظ بالعرش، كذلك رأى المنصور قلاوون أن تختلف فرقته الجديدة في أصولها عن سائر طوائف المماليك الآخرى، أي لا تكون من الأتراك، لذا اختار عنصر الجركس أو الشركس وهم الذين ينتمون إلى بلاد الكرج (جورجيا الحالية).

**وكان سلاطين المماليك من هذه الأسرة هم على الترتيب:**

- السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن أنص العثماني اليلبغاوي الجركسي (الولاية الأولى)
- المنصور حاجي، وقد أعيد للسلطنة مرةً ثانيةً بعد خلع الظاهر برقوق 791هـ-1389م
- السلطان برقوق (الولاية الثانية)، بعد أن خلع منصور حاجي نفسه 792هـ-1390م
- السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الظاهر برقوق (الولاية الأولى)

- السلطان الملك المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز بن الظاهر برقوق
- السلطان الناصر فرج ( الولاية الثانية)
- الخليفة المستعين، حيث بعدما قتل السلطان الناصر فرج، اتفق الأمراء على إقامة الخليفة العباسي المستعين في السلطنة بالإضافة إلى الخلافة، وقد وافق بعد الحاحهم وبايعوه جميعا، وظل يجمع بينهما حتى خلعه المؤيد شيخ المحمودي
- السلطان الملك المؤيد أبو النصر سيف الدين شيخ المحمودي الظاهري، وعرف بالخاصكي المجنون
- السلطان الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ
- السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر
- السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد أبو السعادات بن الظاهر ططر
- السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري
- السلطان الملك العزيز جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأشرف برسباي

- السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد محمد جقمق العلائي الظاهري
- السلطان الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان بن الظاهر جقمق
- السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر اينال العلائي الظاهري برقوق الناصري فرج
- السلطان الملك المؤيد أبو الفتح شهاب الدين أحمد بن الأشرف اينال
- السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين خشقدم الناصري المؤيدي
- السلطان الملك الظاهر أبو نصر يلباي الاينالي المؤيدي
- السلطان الملك الظاهر أبو سعيد تمربغا الظاهري
- السلطان الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباي المحمودي الظاهري، صاحب القلعة المشهورة بالإسكندرية.
- السلطان الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين محمد بن الأشرف قايتباي (الولاية الأولى)
- الأشرف أبي النصر قانصوه خمسمائة
- السلطان الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين محمد بن الأشرف قايتباي (الولاية الثانية)
- السلطان الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه بن قانصوه الأشرف

- السلطان الملك الأشرف أبو النصر جانبلاط بن يشبك الأشرفي
- السلطان الملك العادل أبو النصر طومان باي الأشرفي قايتباي (طومان باي الأول)
- السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري الأشرفي
- السلطان الملك الأشرف أبو النصر طومان باي من قانصوه الناصري (طومان باي الثاني)، وقد وقع الاختيار عليه بعد مقتل قانصوه الغوري، وبويع بعد معارضة منه سنة 922هـ – 1516م، ثم صلبه العثمانيون على باب زويلة 1517م، وبوفاته انتهى عصر دولة المماليك.

**سقوط دولة المماليك:**

كانت دولة المماليك القوى العظمى في العالم، وصاحبة السيادة على العالم الإسلامي، وبانتقال الخلافة العباسية إلى مصر في عصر الظاهر بيبرس وان كانت بالاسم فقط دون أي صلاحيات، أصبحت دولة المماليك صاحبة الشرعية في إدارة شئون الدولة الإسلامية كلها.

إلَّا أن عدة عوامل قد اجتمعت وأدت إلى انتهاء وسقوط دولة المماليك، أهم هذه العوامل كان الصراع على السلطة والحكم

بين المماليك أنفسهم مما كان له بالغ الأثر في إضعاف قوتهم حيث انخرطوا في معارك داخلية ضد بعضهم، وأنهكت قوتهم، ولم يدركوا الأخطار التي تهدد حكمهم ولاسيما الخطر العثماني الذي لاح في الأفق وتطلع إلى بسط نفوذه على كل العالم الإسلامي وانتزاع شرعية المماليك في حكم الدولة الإسلامية.

كما أن دولة المماليك تعرضت إلى إنهيار اقتصادي شديد خاصة بعد أن استطاع البرتغال إكتشاف طريق جديد تمر منه القوافل التجارية بين الشرق والغرب بعيدا عن أراضي دولة المماليك، هذا الطريق الذي عرف برأس الرجاء الصالح، وترتب على ذلك حرمان المماليك من تحصيل المكوس أو الضرائب التي كانت تجمع من القوافل التجارية العابرة من أراضيها في مصر والشام.

ومما لاشك فيه أن الانهيار الاقتصادي لدولة المماليك بطبيعة الحال صحبه تدهور في قوتهم العسكرية، بالإضافة إلى التطاحن المستمر فيما بينهم ونزاعهم المستمر على السلطة وانقسامهم إلى فرق ومجموعات وأحزاب.

اجتمعت كل هذه العوامل وغيرها، ومهدت الطريق أمام السلطان العثماني القوي سليم الأول الذي استطاع هزيمة المماليك في معركتين غيرا تاريخ الدولة، وهما:

• **معركة مرج دابق 1516م:**

استطاع السلطان سليم الأول هزيمة المماليك في الشام، وقتل السلطان الغوري الذي قيل أنه سُحِقَ تحت أرجل خيول مماليكه الفارين.

• **معركة الريدانية 1517م:**

عاد شتات جيش المماليك المهزوم في مرج دابق إلى مصر، ووجب على الفور اختيار سلطان جديد، فأعلن طومان باي ابن أخي قانصوه سلطانًا.

قام طومان باي بتجهيز جيشه متخذًا موقف الدفاع واثقًا من أن العثمانيين لن يخاطروا بعبور صحراوات أوقفت كلًا من هولاكو وتيمورلنك، إلَّا أن سليم الأول فاجئه، وعبر هذه الصحراوات إلى مصر حتى كانت معركة الريدانية قرب صحراء العباسية، وماقبلها ومابعدها من مناوشات بين الطرفين.

على أي حال هزم طومان باي وسيق أسيرا إلى سليم الأول الذي أشفق عليه وشمله بالتكريم وضمه إلى حاشيته، ويبدو بعد ذلك أن سليم الأول أدرك خطورة طومان باي عليه، فاتهمه أمام العلماء، وحكم عليه بالموت كشريك في مؤامرة دبرت ضده، وصُلِبَ طومان

باي على باب زويلة أحد أبواب القاهرة، وبموته انطفأت أسرة المماليك البرجية، وتحولت مصر مرة جَدِيدَة إلى مجرد ولاية بعد أن كانت حاضرة للعالم الإسلامي لعدة قرون.